

دعوة المازني إلى التطوير والتجديد في مفهوم الشعر ونقده

د : أبوبكر العربي المجدوب / كلية التربية العجيلات
جامعة الزاوية

المقدمة :

في هذا البحث المتواضع نتناول - بعون الله تعالى - دعوة المازني إلى التطوير والتجديد في مفهوم الشعر ونقده ، حيث أمعن المازني في الأخذ بالثقافة العربية والغربية ، فقد زواج بين الشرق والغرب ، وتأثر بتيار الرومانسية ، حيث كان للمازني دور بارز في النهوض بالقصيدة العربية ، والدعوة إلى التطوير والتجديد ، فيرجع إليه الفضل في قيادة مدرسة الديوان ضمن المدرسة الرومانسية التي نادت بالثورة على القديم ، وبظهور المذاهب الأدبية الجديدة فقد تغير مفهوم الشعر ونقده ، وهذا ما سنجده لدى أديبنا الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، ونحن سنستهل بحثنا بالآتي :

1 - مشكلة الدراسة :

أ - ما الدور الذي لعبه المازني في تطوير الشعر وتجديده ؟
ب - ما الذي ساعده على هذا الاتجاه ؟

2 - أهمية الدراسة :

أ - دور المازني في التجديد في الشعر ونقده
ب - إن الشعر لدى المازني مصدره الإحساس

3 - أهداف الدراسة :

أ - التطوير في معاني الشعر الحديث ونقده .
ب - العناية بالمضمون وكذلك الشعور والتعبير وأثر ذلك في بناء الصورة الأدبية

4 - منهج الدراسة :

المنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج التحليلي الذي يوضح علاقة الشعر بالواقع

5 - تقسيمات الدراسة :

قسمت الدراسة إلى :

- 1 - التجديد في مفهوم الشعر عند المازني
- 2 - المازني - ثقافته ودوره في الجماعة
- 3 - الآراء التي نادى بها المازني في مذهبه الشعري
- 4 - مذهب المازني في النقد

أولاً - التجديد في مفهوم الشعر عند المازني :

الشعر عند المازني هو : ما يجعل الإنسان ((أن يحس ما يرى ، وأن يرى ما يحس ، وأن يتخيل ما يعلم ، وأن يعلم ما يتخيل ...)) (1)
والمازني يلح على الصدق ، ويرفض الكذب وفي هذا يقول : ((لقد طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والإخلاص حتى استخف بهم الناس واشتد غلوهم في إنكار مكان الحاجة إليهما حتى أنكرنا عليهم ما تكفوه من فضول القول ، وما تجشموه من ضروب الإغراب الذي لا يغني من الأدب شيئاً (2)
والملاحظ أن الشعر عند المازني تعبير عن داخلية النفس ، وما يعتمل فيها من صراعات بين الخير والنشر والجمال والقبح والعدل والحق ، والظلم والاضطهاد ، فما يدور في أعماق الإنسان إنما هو الموضوع المفضل لنظم الشعر ، وليس تقليد السلف والأخذ عنهم والنسج على منوالهم ، فهذا أمر يبرز العجز والتقصير في معالجة قضايا النفس ويعمل على ما بها من شجون وقضايا وشؤون ذاتية (3) .
ويقول " إن الشعر شعور مترجم " (4) .

والشعر في رأيه - أيضاً - ذاتي شخصي مثله في ذلك كمثل عبد الرحمن شكري ، فهو عنده خاطر لا يزال يجيش بالصدر حتى يجد مخرجاً ويصيب متنفساً ، وهو غنائي ليس له وظيفة سوى التنفيس الشخصي عن قائله (5) .
ويرى المازني أن الشعر ابن الخيال ، إذا لم يكن للخيال فيه مجال فهو غث لا خير فيه ويستشهد برأي سانت بيف " ليس الأصل في الشعر الاستقصاء في الشرح والإحاطة في البيتين ، ولكن الأصل فيه أن نترك كل شيء للخيال (6) .
وهذا يخالف ما دعت إليه هذه المدرسة من الاهتمام بالمعاني ، وما اشتهرت به من إعجابها بابن الرومي الذي كان يستقصيها في شعره حتى يستنفذها ، والمازني هذا يتمشى مع مذهب العرب في الشعر الذي أشار إليه البحثري :
والشعر لمح تكفي إشارته

وليس بالهذي تطول خطبه (7)

ويتفق المازني مع مذهب العرب في شيء آخر إذ يقول " والشعر في حقيقته لغة العواطف لا العقل ، وإن كان لا يتغنى عن العقل فيما يخدم هذه العواطف وليس هو بشعر ما لم يعبر عن عاطفة أو يثيرها ... وبما أن العاطفة تحتاج إلى لغة حارة تعبر عنها ، فقد استخدمت المحسنات ، ولكن هذه المحسنات صارت مردولة بالصنعة والتكلف ، أما عند شعراء الطبع فتأتي عفواً ، ولا تكاد تحس ، فهي جميلة الوقع ، معبرة تعبيراً صادقاً عن العاطفة (8) .

ثانياً - المازني - ثقافته ودوره في الجماعة :

قد أمعن المازني في الأخذ بالثقافة العربية والغربية ونجد عنده التزاوج بين الشرق وروح الغرب وقد وجهه زميله شكري إلى التزود بالثقافة العربية في عصورها الذهبية فقرأ شعر الحماسة وغيرها ويؤمن المازني بأن أصالة الشاعر

في صدق تعبيره عن ذاته وفي تلبيةه للحاجات وفي تلاحمها مع حركة الكون حوله (9).

وقد تأثر بالثقافة الغربية إلا أن أثر الثقافة العربية العذبة وما تسرب في وجدانه الشعري من صور عربية درس دروبها المألوفة في اللفظ والتركيب نجدها في ديوانه ، ونجد القالب العربي الذي يعتمد على جزالة اللفظ وقوة العبارة ، وتأثر المازني كصاحبيه العقاد وشكري بالثقافة الغربية وخاصة بتيار الرومانسية أمثال شيلي وبيرون (10).

ونجد في شعره ثمة تجديداً في الشكل الشعري عما اعتاده عمود الشعر من السير على قافية واحدة طوال القصيدة فيقول مثلاً من القافيتين المزدوجة والمتقابلة إذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد ، وانفجر مجال القول بزغت المواهب البشرية على اختلافها ، ومن الأمثلة التي وردت فيها القافية مزدوجة عنده :

أخا ثقتي ثارت النفس ثورة

تكلفني ما لا أطيق من المضي

هل أنا إلا رب صدر إذا غلا

شعرت بمثل الهم من شدة النبض (11)

ثالثاً - الآراء التي نادى بها المازني في مذهبه الشعري :

نجد أن المازني يدافع دفاعاً قوياً عن ضرورة الوزن في الشعر ، فكما أنه لا تصوير بغير ألوان كذلك لا شعر إلا بالوزن ، وقد يكون النثر شبيهاً بالشعر في تأثيره ، وتعبيره عن العاطفة ، أو يغلب عليه روح الخيال ، ولكنه مع ذلك ليس بشعر ، إذ يعوزه الجسم الموسيقي ، ومثل الوزن في ذلك القافية ، فلا شعر إلا بهما أو بالوزن على الأقل (12).

ومن آرائه قوله : " إن الجيد في اللغة جيد في سواها ؛ لأنه لا يختص بلغة أو زمان أو مكان ، فمرده إلى أصول الحياة العامة لا إلى المظاهر والأحوال الخاصة والعارضة ، على أن محك القدرة في الأدب بوجه عام هو تصوير حركات الحياة والعاطفة المعقدة ورسم الانفعالات واعتلاج الخوالج الذهنية ونحوها ، وليس غاية الأدب تصوير قشور الأشياء وظواهرها (13)

ومن الآراء التي نادى بها المازني أن تكون القصيدة عملاً فنياً تاماً على فكرة معينة ليس الشاعر فيها مسبقاً بباعث مستقل عن النفس .

ويعتبر المازني الشطط في الخيال ومخالفته للواقع ليس دليلاً على النبوغ والبراعة ولكن آية النبوغ والبراعة في صدقه وعدم تخافيه للحقائق ، وفي قدرته على اختيار التفاصيل المميزة حتى ولو كان الشيء من المؤلف الذي تقع عليه كل عين فليس في تناوله إسفاف .

كما يتوهم بعضهم البراعة في كيفية تناوله حتى يبدو كأنه غير ذلك المؤلف القديم (14)

ويرى المازني أن الأديب الأصيل هو الذي يكون له أسلوبه الخاص ؛ لأن الأسلوب صورة من النفس ، ولكن مذهب التفاتاته الخاصة وطريقته في تناول المسائل وعرضها كلما كانت هذه الخصوصيات أكد وأعمق كانت المحاكاة أشق والإخفاق فيها أقرب ، فهي لا تسهل إلا حيث يكون الأسلوب خالياً من الخصائص التي ترجع في مرد أمرها إلى النفس وما ركبت عليه وانفردت به (15) .

رابعاً - مذهب المازني في النقد :

نقد المازني العديد من الشعراء والكتاب ، وهو في نقده يمزج بين النقد اللغوي والنظريات النقدية الحديثة كما فعل شكري وهو متأثر في نقده غالباً بعلاقاته الشخصية ، وحبه وسخطه ، وهو يمثل هذه المدرسة المحدودة في الأدب مثل شكري .

ويفسر لنا المازني مذهبه في النقد فقال " مذهبي في النقد أن أنظر ما في الكتاب من الإحسان بالقياس إلى جملة ما فيه من العيب ، فإذا أربى الإحسان على الإساءة تقبلته ، وتجاوزت عما فيه من نقص أو مأخذ وإلا رفضته ، فهو ميزان يُنصب ، وأي كفتيه رجحت أخذت بها ، وهذا في مذهبي هو العدل الميسور في وزن الآراء والأعمال والحكم عليها ، ويعلل لرأيه هذا بأن كتاباً ما لا يخلو من نقص ، والكمال مرتبة لا تتال ، بل أن أذهب إلى أن البواعث الخفية على الإعجاب أن يظن القارئ إلى موضوع النقص وموطن الضعف ، وأن يحس ولو إحساساً أن الكتاب من الكتب على جلال قدره وعظم شأنه وندرة مثله وعجز الأكثرين عن الإتيان بما يقاربه لا يخلو من زلات وعثرات ووهن ، أو إسفاف أو خمولة ، أو قصور أو تقصير أو غير ذلك مما يُجرى هذا المجرى ويُحق له (16)

ولعل في نقده يبين لنا بعض اتجاهاته النقدية ورأيه في الشعر فهو يدعو إلى الإقلاع عن التقليد في الأدب فإنه يفقده فضيلة الصدق ، وميزة النظر ، وهما عماد الأديب وقوام الشعر والكتابة ، ولكن على الأديب أن يستفيد من آثار القدماء في أدبهم ، ويدرس في فهم الأصول الأدبية العامة التي ينبغي للأديب أن يحيد عنها أو يغفلها بحال من الأحوال _ كالصدق والإخلاص في العبارة وهذا وحده كفيل بالقضاء على فكرة التقليد ، والتقليد على كل حال دليل على ضعف الخيال ، وعدم القدرة على الإبداع وفقدان الشخصية (17) .

ويرى إباحة التصرف في اللغة تصرف الوارث في إرثه ، فلا يجمد أمامها بل ينبغي أن يجعلها تسائر التطور والحاجة ، ولكنه كان لا ينادي بالعامية أو التساهل في معجم اللغة كما رأينا من قبل (18) .

والأدب الحق عنده هو الذي يصور الوجدان والإحساس في صدق ويعطي صورة صادقة للناس ولا يقيم وزناً للزخرف اللفظي ، إنما يوجه كل عنايته للمعنى وكل معنى صادق مهما كان موضوعه أو هدفه وغايته فهو خليق بأن يكون موضوعاً للأدب (19) .

ونجد أن المازني يلتقي مع شكري والعقاد ، وأنهم جميعاً يصدرون عن فكرة واحدة في قضية اللفظ والمعنى وموضوع الأدب (20) .
ويرى أن الناقد يجب أن ينظر إلى غرض الشاعر الذي يهدف إليه في القصيدة جملة حتى ندرك ما يرمي إليه كاملاً ، وعليه في ذلك النظر إلى جزء منها دون سواه (21) .

ويرى أن الشعر لابد أن يكون مطبوعاً ليس فيه أثر من آثار الصنعة والتكلف أو الإجهاد ، وأن يستلهم الخيال الواسع ، ويعمد إلى الابتكار والتجديد ، وأن يعبر تعبيراً صادقاً عن نفس صاحبه ، مصوراً لآمال النفس البشرية وآلامها ، ومعبراً خيراً تعبير عن معاني الطبيعة والعقل التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة وبالنفس (22)

والمازني يميل إلى الوضوح دون التعقيد حيث يرى في قول كثير عزة :
وأدنيته حتى إذا ما سبيتني بدلّ يحلّ العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح (23)
يرى المازني أن الشاعر لم يتجاوز الإشارة في بيتيه إلى التبيين ، والتلميح إلى التصريح ، فذكر الدلّ ولم يذكر كيف دلها ، وإن يكن مثل لك فعله وتأثيره ، وقال : (وخلفت ما خلفت بين الجوانح) ولم يقل : ماذا خلفت ؟ فترك بذلك مضطرباً واسعاً للخيال ليتصور لطف دلها وسحره وفتنته ، وصبابة الشاعر وشغفه وحرقتة ، وسائر ما ينطوي تحت قوله (وخلفت ما خلفت) فيرى أن هذين البيتين كلما زدتهما نظراً وترديداً زاداك جمالاً وحسناً (24)

الخاتمة ونتائج البحث

- 1 - المازني يلح على الصدق ، ويرفض الكذب ، ولا يقبل الزخرفة الشكلية والتلاعب بالألفاظ .
- 2 - الشعر عند المازني تعبير عن داخلية النفس .
- 3 - يحذر المازني من تقليد السلف والأخذ عنهم والنسج على منوالهم .
- 4 - يرى المازني أن الشعر ((ابن الخيال)) مع عدم الشطط فيه .
- 5 - أمعن المازني في الأخذ بالثقافة العربية والغربية .
- 6 - دعا المازني إلى التجديد ، والتخلص من الالتزام بعمود الشعر .
- 7 - إن الأدب الأصيل هو الذي يكون له أسلوبه الخاص ؛ لأن الأسلوب صورة من النفس .
- 8 - المازني يميل إلى الوضوح دون التعقيد .
- 9 - يدعو المازني إلى رومانسية الموضوع ، ورمزية التعبير الشعري .
- 10 - يعنى المازني بالمضمون ، والقيمة الشعورية ، ولا يهمل القيمة التعبيرية وأثرها في بناء الصورة الأدبية .

الهوامش :

- 1 - نظريات الشعر _ منيف موسى _ دار الفكر اللبناني _ بيروت _ 1984 م .
ط 1 ، ص 114 .
- 2 - ينظر ديوان المازني ج 2 ، مطبعة محمد محمد مطر _ القاهرة ، 1917 م
ص (ز) المقدمة _ وانظر نظريات الشعر _ منيف موسى (مرجع سابق)
ص 112 - 119 .
- 3 - ينظر القديم والحديث في الشعر العربي الأصيل د . واصف أبو الشباب دار
الفكر - لبنان ، ص 99
- 4 - لغة الشعر العربي الحديث _ د . السعيد الورقي ، القاهرة مصر _ ص 45
- 5 - ينظر في الأدب الحديث ، د . عمر الدسوقي ، ص 281 .
- 6 - الشعر غايته ووسائله _ المازني ط البروفسور 1915 م . ط 1 ، دار
الفكر اللبناني
- 7 - ديوانه _ ص 130 .
- 8 - ينظر في الأدب الحديث د . عمر الدسوقي ، ص 283 .
- 9 - ينظر مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر د . رجاء عيد ومحمود
شوكت ص 168 .
- 10 _ نفسه ص 170 ، 177 .
- 11 - الديوان ص 55
- 12 - ينظر في الأدب الحديث د . عمر الدسوقي ، ج 1 ، ص 282 ، 283 .
- 13 - نفسه ، ص 283 .
- 14 - نفسه ، ص 284 .
- 15 - نفسه ، ص 284 .
- 16 - ينظر مجلة الكتاب المصرية _ عدد نوفمبر 1945 ، ص 79 ، 90 .
- 17 - ينظر في الأدب الحديث ، دكتور عمر الدسوقي ، ج 2 ، ص 280 .
- 18 - ينظر اتجاهات الشعر الحديثة ، دكتور إبراهيم ناجي ، الأهرام ، 1936 ،
ص 86 .
- 19 - نفسه ، ص 90 .
- 20 - ينظر في الأدب الحديث ، دكتور عمر الدسوقي ، ج 2 ، ص 280 .
- 21 - نفسه ، ص 280 .
- 22 - نفسه ، ص 281 .
- 23 - ديوان كثير عزة _ دار صادر بيروت لبنان ص 112 .
- 24 - الشعر _ غايته ووسائله _ المازني _ دار الفكر اللبناني _ بيروت
1990 ، ط 2 ، ص 54 ، 55 .